

مُخْتَصَرٌ

لِطَائِفِ الْمُعْجَرِفِ

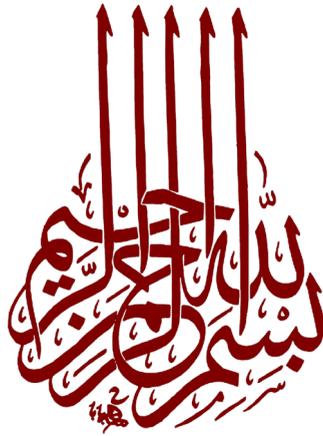
لِلْإِمَامِ الْحَافِظِ ابْنِ رَجَبٍ الْجَنْبَلِيِّ

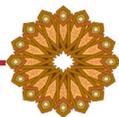
أَهْقَرَةٌ وَعَاقِبَةٌ عَلَيْهِ

مُحَمَّدُ بْنُ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْمُهَنْبَلِيِّ

فصل لطيف عن شهرٍ محرّم
مختصر من كتاب «لطائف المعارف»
للإمام الحافظ ابن رجب رحمه الله تعالى.







قال الإمام ابن رجب رَحِمَهُ اللهُ:

﴿ وظائف شهر الله المحرم ﴾

ويشتمل على مجالس:

المجلس الأول

﴿ في فضائل شهر الله المحرم وعشره الأول ﴾

خَرَجَ مُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ: أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أَفْضَلُ الصَّيَامِ بَعْدَ شَهْرِ رَمَضَانَ شَهْرُ اللَّهِ الَّذِي تَدْعُونَهُ الْمُحَرَّمَ، وَأَفْضَلُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الْفَرِيضَةِ قِيَامُ اللَّيْلِ»^(١).

﴿ الكلام على هذا الحديث في فصلين: ﴾

* في أفضل التطوع بالصيام.

* وأفضل التطوع بالقيام.

(١) رواه مسلم (١١٦٣).



الفصل الأول

﴿ في فضل التطوع بالصيام ﴾

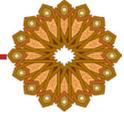
وهذا الحديث صريحٌ في أنَّ أفضلَ ما تُطوَّعَ بهِ مِنَ الصَّيامِ
بعدَ رمضانَ صومُ شهرِ اللهِ المحرَّمِ.

وقد يُحتمَلُ أنْ يُرادَ أنَّه أفضلُ شهرٍ تُطوَّعَ بصيامِهِ كاملاً
بعدَ رمضانَ. فأما بعضُ التَّطوُّعِ ببعضِ شهرٍ، فقد يكونُ أفضلَ
منَ بعضِ أيَّامِهِ: كصيامِ يومِ عرفةَ، أو عشرِ ذي الحِجَّةِ، أو سِتَّةِ
أيَّامٍ منَ شَوَّالٍ... ونحو ذلك.

فأما التَّطوُّعُ المطلقُ، فأفضلهُ صيامُ الأشهرِ الحريمِ، وقد
رَوِيَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ أَمَرَ رَجُلًا أَنْ يَصُومَ الْأَشْهَرَ
الحريمَ، وسنَّذكرُهُ في موضعٍ آخَرَ إنْ شاءَ اللهُ تَعَالَى.

﴿ وقد اختلف العلماءُ في أيِّ الأشهرِ الحريمِ أفضلُ: ﴾

فقالَ الحَسَنُ وغيرُهُ: أفضلُها شهرُ اللهِ المحرَّمِ. ورَجَّحَهُ



طائفةٌ مِنَ المتأخِّرينَ .

وروى: وَهَبُ بْنُ جَرِيرٍ، عَنْ قُرَّةَ بْنِ خَالِدٍ، عَنِ الْحَسَنِ،
قال: إِنَّ اللَّهَ افْتَحَ السَّنَةَ بِشَهْرٍ حَرَامٍ وَخَتَمَهَا بِشَهْرٍ حَرَامٍ،
فليسَ شهرٌ في السَّنَةِ بعدَ شهرِ رَمَضانَ أعظَمَ عندَ اللَّهِ مِنَ
المحرَّم، وكان يُسمَّى شهرَ اللَّهِ الأصمِّ من شدَّةِ تحريمِهِ .

وقد سمى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المُحرَّم شهرَ اللَّهِ، وإضافتهُ
إلى اللَّهِ تَدُلُّ على شرفِهِ وفضلِهِ، فَإِنَّهُ تَعَالَى لا يُضِيفُ إِليه
إلاَّ خواصَّ مخلوقاته، كما نَسَبَ مُحَمَّدًا وإبراهيمَ وإسحاقَ
ويعقوبَ وغيرَهُم مِنَ الأنبياءِ صلواتُ اللَّهِ وسلامُهُ عليهم
إلى عبودِيَّتِهِ ونَسَبَ إِليه بيتَهُ وناقتهُ .

شَهْرُ الحَرَامِ مُبارَكٌ مَيِّمُونَ وَالصَّوْمُ فِيهِ مُضاعَفٌ مَسْنُونٌ
وَأَثابٌ صائِمِهِ لَوَجْهِ إِلهِهِ فِي الخُلْدِ عِنْدَ مالِكِهِ مَخزونٌ

الصَّيامُ سرٌّ بينَ العبدِ وبينَ رَبِّهِ، ولهذا يَقولُ اللَّهُ عزَّ وجلَّ:
«كُلُّ عَمَلٍ ابْنِ آدَمَ لَهُ، إِلاَّ الصَّوْمَ، فَإِنَّهُ لِي، وَأنا أَجزي بِهِ، إِنَّهُ



تَرَكَ شَهْوَتَهُ وَطَعَامَهُ وَشَرَابَهُ مِنْ أَجْلِي. وَفِي الْجَنَّةِ بَابٌ يُقَالُ لَهُ الرِّيَّانُ، لَا يَدْخُلُ مِنْهُ إِلَّا الصَّائِمُونَ، فَإِذَا دَخَلُوا، أُغْلِقَ فَلَمْ يَدْخُلْ مِنْهُ غَيْرُهُمْ» (١).

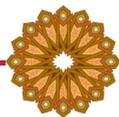
وفيه: أنَّ أبا أُمَامَةَ قَالَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَوْصِنِي! قَالَ: «عَلَيْكَ بِالصَّوْمِ، فَإِنَّهُ لَا عِدْلَ لَهُ» (٢). فَكَانَ أَبُو أُمَامَةَ وَأَهْلُهُ يَصُومُونَ، فَإِذَا رُئِيَ فِي بَيْتِهِمْ دُخَانٌ بِالنَّهَارِ، عَلِمَ أَنَّهُ قَدْ نَزَلَ بِهِمْ ضَيْفٌ.

للصائم فرحتان: فرحة عند فطره، وفرحة عند لقاء ربه إذا وجد ثواب صيامه مدخوراً.

قَالَ اللَّهُ عَزَّجَلَّ: ﴿وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٣٥].

(١) سيأتي تخريجه، وألفاظه في الصحيحين.

(٢) أخرجه أحمد (٢٢١٤٩)، والنسائي (٣٤٢٦)، وصححه ابن خزيمة وابن حبان، وقال ابن حجر في فتح الباري ٤ / ١٠٤: سنده صحيح.



وقال: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾

[الحاقه: ٢٤]، قال مُجَاهِدٌ وَغَيْرُهُ: نَزَلَتْ فِي الصُّوَامِ.

مَنْ تَرَكَ لِلَّهِ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ وَشَهْوَتَهُ، عَوَّضَهُ اللَّهُ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ، طَعَامًا وَشَرَابًا لَا يَنْفَدُ، وَأَزْوَاجًا لَا تَمُوتُ.

لَمَّا كَانَ الصِّيَامُ سِرًّا بَيْنَ الْعَبْدِ وَرَبِّهِ، اجْتَهَدَ الْمَخْلُصُونَ فِي إِخْفَائِهِ بِكُلِّ طَرِيقٍ حَتَّى لَا يَطَّلَعَ عَلَيْهِمْ أَحَدٌ.

قال بعض الصالحين: بلغنا عن عيسى بن مريم عليه السلام

أنه قال: إذا كان يوم صوم أحدكم، فليدهن لحيته ويمسح شفثيه من دهنه حتى ينظر إليه الناظر فيظن أنه ليس بصائم.

وعن ابن مسعود، قال: إذا أصبح أحدكم صائمًا،

فليترجل (يعني: يسرح شعره ويدهنه)، وإذا تصدق بصدقة

عن يمينه فليخفها عن شماله، وإذا صلى تطوعًا، فليصل في

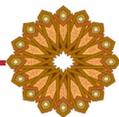
داخل بيته.



وقال أبو التَّيَّاح: أدركتُ أبي ومشيخةَ الحيِّ، إذا صامَ
أحدُهُم، أدهنَ ولبسَ صالحَ ثيابه.

صامَ بعضُ السَّلفِ أربعينَ سنةً لا يعلمُ به أحدٌ، كانَ له
دُكَّانٌ، فكانَ كلَّ يومٍ يأخذُ من بيته رغيفينَ ويخرُجُ إلى دُكَّانِهِ
فيتصدَّقُ بهما في طريقِهِ، فيظنُّ أهلهُ أنَّه يأكلُهُما في السُّوقِ،
ويظنُّ أهلُ السُّوقِ أنَّه قد أكلَ في بيتهِ قبلَ أنْ يَجيءَ.





الفصل الثاني

﴿ في فضل قيام الليل ﴾

وقد دلَّ حديثُ أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ على أنَّ قيام الليل أفضلُ الصَّلَاةِ بعدَ المكتوبةِ.

وهل هو أفضلُ من السُّنَنِ الرَّاتِبَةِ؟ فيه خلافٌ.

وَإِنَّمَا فَضِّلَتْ صَلَاةُ اللَّيْلِ عَلَى صَلَاةِ النَّهَارِ:

*** لِأَنَّهَا أَبْلَغُ فِي الْإِسْرَارِ وَأَقْرَبُ إِلَى الْإِخْلَاصِ.**

كَانَ السَّلْفُ يَجْتَهِدُونَ عَلَى إِخْفَاءِ تَهْجُدِهِمْ، قَالَ الْحَسَنُ: كَانَ الرَّجُلُ يَكُونُ عِنْدَهُ زَوَّارٌ، فَيَقُومُ مِنَ اللَّيْلِ يُصَلِّي وَلَا يَعْلَمُ بِهِ زَوَّارُهُ. وَكَانُوا يَجْتَهِدُونَ فِي الدُّعَاءِ وَلَا يُسْمَعُ لَهُمْ صَوْتُ.

وَكَانَ مُحَمَّدُ بْنُ وَاسِعٍ يُصَلِّي فِي طَرِيقِ مَكَّةَ طَوَّلَ لَيْلِهِ فِي مَحْمَلِهِ، وَيَأْمُرُ حَادِيَهُ أَنْ يَرْفَعَ صَوْتَهُ لِيَشْغَلَ النَّاسَ عَنْهُ.



وَكَانَ بَعْضُهُمْ يَقُومُ فِي وَسْطِ اللَّيْلِ وَلَا يُدْرِي بِهِ، فَإِذَا كَانَ قَرَبَ طُلُوعِ الْفَجْرِ، رَفَعَ صَوْتَهُ بِالْقُرْآنِ، يُؤهِمُّ أَنَّهُ قَامَ تِلْكَ السَّاعَةَ.

* **وَلَأَنَّ صَلَاةَ اللَّيْلِ أَشَقُّ عَلَى النَّفُوسِ، فَإِنَّ اللَّيْلَ مَحَلُّ النَّوْمِ وَالرَّاحَةِ مِنَ التَّعَبِ بِالنَّهَارِ، فَتَرُكُ النَّوْمِ مَعَ مِيلِ النَّفْسِ إِلَيْهِ مَجَاهِدَةٌ عَظِيمَةٌ.** قَالَ بَعْضُهُمْ: أَفْضَلُ الْأَعْمَالِ مَا أُكْرِهَتْ النَّفُوسُ عَلَيْهِ.

* **وَلَأَنَّ الْقِرَاءَةَ فِي صَلَاةِ اللَّيْلِ أَقْرَبُ إِلَى التَّدَبُّرِ، فَإِنَّهُ تَنْقَطِعُ الشَّوَاغِلُ بِاللَّيْلِ، وَيَحْضُرُ الْقَلْبُ، وَيتَوَاطَأُ هَوَ وَاللِّسَانُ عَلَى الْفَهْمِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْأً وَأَقْوَمُ قِيلاً﴾ [المزمل: ٦].**

ولهذا المعنى أمر بترتيل القرآن في قيام الليل ترتيلاً.

* **وَلَأَنَّ وَقْتَ التَّهَجُّدِ مِنَ اللَّيْلِ أَفْضَلُ أَوْقَاتِ التَّطَوُّعِ بِالصَّلَاةِ وَأَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ، وَهُوَ وَقْتُ فَتْحِ أَبْوَابِ**



السَّمَاءِ وَاسْتِجَابَةِ الدُّعَاءِ وَاسْتِعْرَاضِ حَوَائِجِ السَّائِلِينَ.

❁ وقد مدح الله المستيقظين بالليل لذكره ودعائه واستغفاره ومناجاته:

* فقال الله تعالى: ﴿ تَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴾ (١٦) ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ

لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [السجدة: ١٦ - ١٧].

* وقال: ﴿ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ ﴾ [آل عمران: ١٧].

* وقال: ﴿ كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴾ (١٧) ﴿ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ

﴿ ﴾ [الذاريات: ١٧ - ١٨].

* وقال: ﴿ وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ﴾ [الفرقان: ٦٤].

* وقال: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَنِتٌ ءَانَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ

وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾

[الزُّمَر: ٩].

* وقال: ﴿ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَاتِ اللَّهِ ءَانَاءَ

الَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴾ [آل عمران: ١١٣].



* وقال لنبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿ وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴾ [الإسراء: ٧٩].

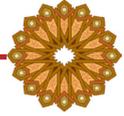
* وقال: ﴿ وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ، وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ﴾ [الإنسان: ٢٦].

* وقال: ﴿ يَتَأْتِيهَا الْمُرْمَلُ ① قُرْ أَلَيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ③ تَصَفَّهُ، أَوْ أَنْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ② أَوْزِدْ عَلَيْهِ ﴾ [المزمل: ١، ٤].

قالت عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا لرجلٍ: لا تدع قيام الليل، فإن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان لا يدعه، وكان إذا مرض (أو قالت: كسِل) صَلَّى قَاعِدًا^(١).

وفي روايةٍ أخرى عنها، قالت: بلغني عن قوم يقولون: إن أدبنا الفرائض لم نبال إلا نزداد! ولعمري، لا يسألهم الله إلا عما افترض عليهم، ولكنهم قومٌ يُخطئون بالليل والنهار،

(١) أخرجه أحمد (٢٦١١٤)، وأبو داود (١٣٠٧)، وقال الحاكم: صحيح على شرط مسلم.



وما أنتم إلا من نبيكم، وما نبيكم إلا منكم، والله ما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم قيام الليل.

فأشارت عائشة رضي الله عنها إلى أن قيام الليل فيه فائدتان عظيمتان:

* الاقتداء بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم والتأسي به، وقد قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ (٢١) [الأحزاب: ٢١].

* وتكفير الذنوب والخطايا، فإن بني آدم يخطئون بالليل والنهار، فيحتاجون إلى الاستكثار من مكفّرات الخطايا، وقيام الليل من أعظم المكفّرات، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ: «قيام العبد في جوف الليل يكفر الخطيئة». ثم تلا ﴿تَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ...﴾ الآية [السجدة: ١٦]. خرّجه الإمام أحمد وغيره (١).

(١) أخرجه أحمد (٢٢٠١٦)، والترمذي (٢٦١٦)، وقال: حديث حسن صحيح، وصحّحه الشيخ الألباني في إرواء الغليل (١٣٨ / ٢).



وقد رُوِيَ أَنَّ الْمُتَهَجِّدِينَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ.

قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: قِيَامُ اللَّيْلِ يُهَوِّنُ طَوْلَ الْقِيَامِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

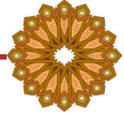
وَفِي حَدِيثِ أَبِي أَمَامَةَ وَبِلَالِ الْمَرْفُوعِ: «عَلَيْكُمْ بِقِيَامِ اللَّيْلِ، فَإِنَّهُ دَأْبُ الصَّالِحِينَ قَبْلَكُمْ، وَإِنَّ قِيَامَ اللَّيْلِ قَرَبَةٌ إِلَى اللَّهِ وَتَكْفِيرٌ لِلسَّيِّئَاتِ وَمَنْهَاءٌ عَنِ الْإِثْمِ وَمَطْرَدَةٌ لِلدَّاءِ عَنِ الْجَسَدِ». خَرَّجَهُ التِّرْمِذِيُّ^(١).

وَكَمَّا أَنَّ قِيَامَ اللَّيْلِ يُكْفِّرُ السَّيِّئَاتِ فَهُوَ يَرْفَعُ الدَّرَجَاتِ، وَقَدْ ذَكَرْنَا أَنَّ أَهْلَهُ مِنَ السَّابِقِينَ إِلَى الْجَنَّةِ بِغَيْرِ حِسَابٍ.

وَفِي حَدِيثِ الْمَنَامِ الْمَشْهُورِ الَّذِي خَرَّجَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ: أَنَّ الْمَلَائِكَةَ الْأَعْلَى يَخْتَصِمُونَ فِي الدَّرَجَاتِ وَالْكَفَّارَاتِ، وَفِيهِ أَنَّ الدَّرَجَاتِ: إِطْعَامُ الطَّعَامِ، وَإِفْشَاءُ السَّلَامِ، وَالصَّلَاةُ بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ^(٢).

(١) أخرجه الترمذي (٣٥٤٩)، وابن خزيمة (١١٣٥)، والحاكم (١/ ٤٥١)، ورواية أبي أمامة أصح، وليس فيها «ومطرودة للداء عن الجسد».

(٢) أخرجه أحمد (٣٤٨٤)، والترمذي (٣٢٣٣)، قال الترمذي: سألت محمداً =



وفي حديث عبد الله بن سلام المشهور المخرَج في «السُّنن»:
أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ عِنْدَ قُدُومِهِ الْمَدِينَةَ: «يَا أَيُّهَا
النَّاسُ! أَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَأَفْشُوا السَّلَامَ، وَصَلُّوا الْأَرْحَامَ،
وَصَلُّوا بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ، تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِسَلَامٍ»^(١).

وَمِنْ فَضَائِلِ التَّهَجُّدِ أَنَّ اللَّهَ عَزَّجَلَّ: يُحِبُّ أَهْلَهُ، وَيُبَاهِي
بِهِمُ الْمَلَائِكَةَ، وَيَسْتَجِيبُ دَعَاءَهُمْ.

وفي «المسند»: عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،
قَالَ: «عَجِبَ رَبُّنَا مِنْ رَجُلٍ ثَارَ عَنْ وَطَائِهِ وَلِحَافِهِ مِنْ بَيْنِ
أَهْلِهِ وَحَبَّهِ إِلَى صَلَاتِهِ، فَيَقُولُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى: يَا مَلَائِكَتِي!
انظُرُوا إِلَى عَبْدِي، ثَارَ مِنْ فِرَاشِهِ وَوِطَائِهِ مِنْ بَيْنِ أَهْلِهِ
وَحَبَّهِ إِلَى الصَّلَاةِ، رَغْبَةً فِيمَا عِنْدِي وَشَفَقَةً مِمَّا عِنْدِي...»

= بن إسماعيل البخاري عنه فقال: هذا حديث حسن صحيح، وللمؤلف
رَحْمَةُ اللَّهِ شرح مستقل لهذا الحديث اسمه: اختيار الأولى في شرح اختصار
الملا الأعلى.

(١) أخرجه الترمذي (٢٤٨٥)، وابن ماجه (١٣٣٤)، قال الترمذي: هذا حديث
صحيح.

وذكر بقية الحديث^(١).

وقوله: «ثَار» فيه إشارة إلى قيامه بنشاطٍ وعزمٍ.

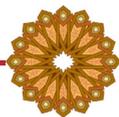
وفي الصحيحين أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «نِعْمَ الرَّجُلُ عَبْدُ اللَّهِ (يعني: ابن عمر) لو كان يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ»^(٢). فكان عبد الله لا ينام بعد ذلك من الليل إلا قليلاً.

كان أبو ذرٍّ رضي الله عنه يقول للناس: أَرَأَيْتُمْ لو أن أحدكم أراد سفراً، أليس يتخذ من الزاد ما يصلحه ويبلغه؟ قالوا: بلى. قال: فسفر طريق القيامة أبعد، فخذوا له ما يصلحكم، حُجُّوا حَجَّةَ لِعِظَائِمِ الْأُمُورِ، صوموا يوماً شديداً حره لحرِّ يوم النُّشُورِ، صَلُّوا رَكَعَتَيْنِ فِي ظِلْمَةِ اللَّيْلِ لظلمة القبور، تَصَدَّقُوا صَدَقَةً لَشَرِّ يَوْمٍ عَسِيرٍ.

أين رجال الليل؟! أين الحسنُ وسُفيانُ وفضيلُ؟!!

(١) أخرجه أحمد (٣٩٤٩)، والحاكم (١٢٣ / ٢)، وقال الحاكم: حديث صحيح الإسناد.

(٢) أخرجه البخاري (١١٢٢)، ومسلم (٢٤٧٩).



يَا رِجَالَ اللَّيْلِ جِدُّوا رَبِّ دَاعٍ لَا يُرَدُّ
مَا يَقُومُ اللَّيْلَ إِلَّا مَنْ لَهُ عَزْمٌ وَجِدُّ
لَيْسَ شَيْءٌ كَصَلَاةِ الْ لَيْلِ لِلْقَبْرِ يُعَدُّ

قيل لابن مسعود: ما نستطيع قيام الليل. قال: أبعدتكم ذنوبكم.

وقيل للحسن: قد أعجزنا قيام الليل. قال: قيدتكم خطاياكم.

وقال الفضيل: إذا لم تقدر على قيام الليل وصيام النهار؛ فاعلم أنك محرومٌ مكبَّلٌ كَبَلَّتْكَ خَطِيئَتُكَ.

قال الحسن: إنَّ العبدَ ليذنبُ الذَّنْبَ فيُحْرَمُ به قيامَ الليلِ.

قال بعض السلف: أذنبتُ ذنباً فحرمتُ به قيامَ الليلِ ستَّةَ أشهرٍ.

الليلُ منهلٌ يردهُ أهلُ الإرادةِ كُلُّهُمْ، ويختلفون فيما يردون ويُرِيدون، قد عَلِمَ كلُّ أناسٍ مشربُهُم: فالمُحِبُّ



يَتَنَعَّمُ بِمَنَاجَاةِ مَحْبُوبِهِ، وَالْخَائِفُ يَتَضَرَّعُ لَطَلِبِ الْعَفْوِ
وَيَبْكِي عَلَى ذَنْبِهِ، وَالرَّاجِي يُلِحُّ فِي سُؤَالِ مَطْلُوبِهِ، وَالْغَافِلُ
الْمَسْكِينُ أَحْسَنَ اللَّهُ عَزَاءَهُ فِي حَرْمَانِهِ وَفَوَاتِ نَصِيهِهِ.

قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «لَا
تَكُنْ مِثْلَ فُلَانٍ! كَانَ يَقُومُ اللَّيْلَ فَتَرَكَ قِيَامَ اللَّيْلِ» (١).

كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَطْرُقُ بَابَ فَاطِمَةَ وَعَلِيٍّ وَيَقُولُ:
«أَلَا تُصَلِّيَانِ؟» (٢).

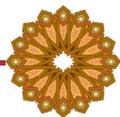
وَفِي الْحَدِيثِ: «إِذَا اسْتَيْقَظَ الرَّجُلُ وَأَيْقَظَ أَهْلَهُ فَصَلِّيًا
رَكَعَتَيْنِ، كُتِبَا مِنَ الذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ» (٣).

كَانَتْ امْرَأَةٌ حَبِيبِ الْعَجْمِيِّ تَوْقِظُهُ بِاللَّيْلِ وَتَقُولُ: ذَهَبَ
اللَّيْلُ، وَبَيْنَ أَيْدِينَا طَرِيقٌ بَعِيدٌ، وَزَادُنَا قَلِيلٌ، وَقَوَافِلُ الصَّالِحِينَ

(١) أخرجه البخاري (١١٥٢)، ومسلم (١١٥٩).

(٢) أخرجه البخاري (١١٢٧)، ومسلم (٧٧٥).

(٣) أخرجه أبو داود (١٣٠٩)، وابن ماجه (١٣٣٥)، قال النووي: رواه أبو داود



قد سارت قدامنا ونحن قد بقينا.

يا راقدا الليل فكم ترقد
قُم يا حبيبي قد دنا الموعد
وخذ من الليل وأوقاته
وردا إذا ما هجع الرقد
من نام حتى ينقضي ليله
لم يبلغ المنزل أو يجهد
قل لأولي الأبواب أهل التقى
قنطرة العرض لكم موعد





المجلس الثاني

﴿يوم عاشوراء﴾

في الصحيحين: عن ابن عباس، أنه سُئِلَ عن صومِ يومِ عاشوراء، فقال: ما رأيتُ رسولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صامَ يوماً يتحرى فضلهُ على الأيامِ إلا هذا اليومَ (يعني: يومَ عاشوراء) وهذا الشهرَ (يعني: رمضان) ^(١).

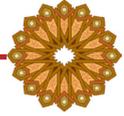
يومُ عاشوراء له فضيلةٌ وحرمةٌ قديمةٌ، وصومُهُ لفضلهِ كانَ معروفًا بينَ الأنبياءِ عليهمُ السَّلامُ.

﴿وكان للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في صيامه أربعة أحوال:﴾

الحالة الأولى: أنه كان يصومُهُ بِمَكَّةَ ولا يَأْمُرُ النَّاسَ بِالصَّوْمِ.

ففي الصحيحين: عن عائشة، قالت: كانَ عاشوراءُ يوماً تصومُهُ قريشٌ في الجاهليَّة، وكانَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

(١) أخرجه البخاري (٢٠٠٦)، ومسلم (١١٣٢).



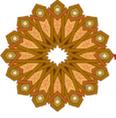
يَصُومُهُ، فَلَمَّا قَدِمَ الْمَدِينَةَ، صَامَهُ وَأَمَرَ بِصِيَامِهِ، فَلَمَّا نَزَلَتْ
فَرِيضَةُ شَهْرِ رَمَضَانَ، كَانَ رَمَضَانُ هُوَ الَّذِي يَصُومُهُ، فَتَرَكَ
يَوْمَ عَاشُورَاءَ، فَمَنْ شَاءَ صَامَهُ، وَمَنْ شَاءَ أَفْطَرَهُ^(١).

وفي روايةٍ للبخاريّ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ
شَاءَ فَلْيَصُمْهُ، وَمَنْ شَاءَ أَفْطَرَهُ».

الحالة الثانية: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا قَدِمَ الْمَدِينَةَ وَرَأَى
صِيَامَ أَهْلِ الْكِتَابِ لَهُ وَتَعْظِيمَهُمْ لَهُ - وَكَانَ يُحِبُّ مُوَافَقَتَهُمْ
فِيمَا لَمْ يُؤْمَرْ بِهِ، صَامَهُ، وَأَمَرَ النَّاسَ بِصِيَامِهِ، وَأَكَّدَ الْأَمْرَ
بِصِيَامِهِ وَالْحَثَّ عَلَيْهِ حَتَّى كَانُوا يُصَوِّمُونَهُ أَطْفَالَهُمْ.

ففي الصحيحين: عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ، فَوَجَدَ الْيَهُودَ صِيَامًا يَوْمَ عَاشُورَاءَ، فَقَالَ
لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا هَذَا الْيَوْمُ الَّذِي تَصُومُونَهُ؟».
قَالُوا: هَذَا يَوْمٌ عَظِيمٌ، أَنْجَى اللَّهُ فِيهِ مُوسَى وَقَوْمَهُ، وَأَغْرَقَ
فِرْعَوْنَ وَقَوْمَهُ، فَصَامَهُ مُوسَى شُكْرًا، فَنَحْنُ نَصُومُهُ. فَقَالَ

(١) أخرجه البخاري (٢٠٠٢)، ومسلم (١١٢٥).



رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَنَحْنُ أَحَقُّ وَأَوْلَى بِمُوسَى مِنْكُمْ». فصامه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأمر بصيامه^(١).

وفي الصحيحين: عن سلمة بن الأكوع، أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمر رجلاً من أسلم أن أذن في الناس: «مَنْ أَكَلَ فَلْيُصِّمْ بَقِيَّةَ يَوْمِهِ، وَمَنْ لَمْ يَكُنْ أَكَلَ فَلْيُصِّمْ، فَإِنَّ الْيَوْمَ يَوْمٌ عَاشُورَاءُ»^(٢).

وفي الباب أحاديث كثيرة جداً.

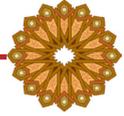
الحالة الثالثة: أنه لما فرض صيام شهر رمضان، ترك النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمر أصحابه بصيام يوم عاشوراء وتأكيده فيه. وقد سبق حديث عائشة في ذلك.

وفي الصحيحين: عن ابن عمر، قال: صام النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عاشوراء وأمر بصيامه، فلما كان فرض رمضان، ترك ذلك^(٣).

(١) أخرجه البخاري (٢٠٠٤)، ومسلم (١١٣٠).

(٢) أخرجه البخاري (١٩٢٤)، ومسلم (١١٣٥).

(٣) أخرجه البخاري (١٨٩٢)، ومسلم (١١٢٦).



الحالة الرَّابِعَةُ: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَزَمَ فِي آخِرِ عَمْرِهِ عَلَى الْأَيَّامِ مَفْرَدًا، بَلْ يَضُمُّ إِلَيْهِ يَوْمًا آخَرَ مُخَالَفَةً لِأَهْلِ الْكِتَابِ فِي صِيَامِهِ.

ففي «صحيح مسلم»: عن ابن عباسٍ: أَنَّهُ قَالَ: حِينَ صَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَاشُورَاءَ وَأَمَرَ بِصِيَامِهِ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنَّهُ يَوْمٌ تُعَظَّمُهُ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَإِذَا كَانَ الْعَامُ الْمُقْبِلُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ صُمْنَا الْيَوْمَ التَّاسِعَ». قَالَ: فَلَمْ يَأْتِ الْعَامُ الْمُقْبِلُ حَتَّى تُوفِّي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (١).

وَكَانَ طَائِفَةٌ مِنَ السَّلَفِ يَصُومُونَ عَاشُورَاءَ فِي السَّفَرِ، مِنْهُمْ: ابْنُ عَبَّاسٍ، وَأَبُو إِسْحَاقَ السَّبْعِيِّ، وَالزُّهْرِيُّ، وَقَالَ: رَمَضَانُ لَهُ عِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ آخَرَ وَعَاشُورَاءُ يَفُوتُ. وَنَصَّ أَحْمَدُ عَلَى أَنَّهُ يُصَامُ عَاشُورَاءُ فِي السَّفَرِ.

(١) أخرجه مسلم (١١٣٤).



وَكُلُّ مَا رُوِيَ فِي فَضْلِ الْاِكْتِحَالِ فِي يَوْمِ عَاشُورَاءَ
وَالِاخْتِضَابِ وَالِاغْتِسَالِ فِيهِ فَمَوْضُوعٌ لَا يَصِحُّ^(١).

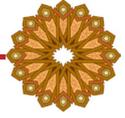
❁ وَأَمَّا التَّوَسُّعُ فِيهِ عَلَى الْعِيَالِ:

فَقَالَ حَرْبٌ: سَأَلْتُ أَحْمَدَ عَنِ الْحَدِيثِ الَّذِي جَاءَ: «مَنْ
وَسَّعَ عَلَى أَهْلِهِ يَوْمَ عَاشُورَاءَ»، فَلَمْ يَرَهُ شَيْئًا.

وَقَوْلُ حَرْبٍ «إِنَّ أَحْمَدَ لَمْ يَرَهُ شَيْئًا» إِنَّمَا أَرَادَ بِهِ الْحَدِيثَ
الَّذِي يُرَوَى مَرْفُوعًا إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَإِنَّهُ لَا يَصِحُّ إِسْنَادُهُ.

وَأَمَّا اتِّخَاذُهُ مَأْتَمًا كَمَا تَفَعَّلَهُ الرَّافِضَةُ لِأَجْلِ قَتْلِ الْحُسَيْنِ
بِبنِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فِيهِ، فَهُوَ مِنْ عَمَلٍ مَنْ ضَلَّ سَعِيَّهُ فِي الْحَيَاةِ
الدُّنْيَا وَهُوَ يَحْسَبُ أَنَّهُ يُحْسِنُ صَنْعًا، وَلَمْ يَأْمُرِ اللَّهُ وَلَا رَسُولُهُ
بِاتِّخَاذِ أَيَّامِ مَصَائِبِ الْأَنْبِيَاءِ وَمَوْتِهِمْ مَأْتَمًا، فَكَيْفَ بِمَنْ
دُونِهِمْ!؟

(١) ورد في فضل الاكتحال يوم عاشوراء حديث (من اكتحل يوم عاشوراء لم
يرمد أبدًا) وكذلك وردت أحاديث في فضل الاختضاب وهو صبغ الشيب،
وفي الاغتسال يوم عاشوراء، وكلها أحاديث منكرة موضوعة.



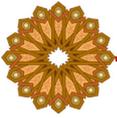
وَمِنْ فَضَائِلِ يَوْمِ عَاشُورَاءَ أَنَّهُ يَوْمٌ تَابَ اللَّهُ فِيهِ عَلَى قَوْمٍ.
وَفِي حَدِيثِ عَلِيٍّ الَّذِي خَرَّجَهُ التِّرْمِذِيُّ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
قَالَ لِرَجُلٍ: «إِنْ كُنْتَ صَائِمًا شَهْرًا بَعْدَ رَمَضَانَ، فَصُمْ الْمُحَرَّمَ،
فَإِنَّ فِيهِ يَوْمًا تَابَ اللَّهُ فِيهِ عَلَى قَوْمٍ وَيَتُوبُ فِيهِ عَلَى آخِرِينَ»^(١).

وَقَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حَدِيثِ عَلِيٍّ «وَيَتُوبُ فِيهِ عَلَى
آخِرِينَ»: حُثُّ لِلنَّاسِ عَلَى تَجْدِيدِ التَّوْبَةِ النَّصُوحِ فِي يَوْمِ
عَاشُورَاءَ، وَتَرْجِيَةُ لِقَبُولِ التَّوْبَةِ مِمَّنْ تَابَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ
مِنْ ذُنُوبِهِ كَمَا تَابَ فِيهِ عَلَى مَنْ قَبْلَهُمْ.

وَقَدْ قَالَ تَعَالَى عَنْ آدَمَ: ﴿فَلَقَّحَ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ
عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ النَّوَابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ٣٧]. وَأَخْبَرَ عَنْهُ وَعَنْ زَوْجِهِ
أَنَّهَا: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ
مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣].

وَكَتَبَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ إِلَى الْأَمْصَارِ كِتَابًا وَقَالَ فِيهِ:

(١) أخرجه الترمذي (١٣٨٧) وقال: حديث حسن غريب.



قولوا كما قال أبوكم آدم: ﴿قَالَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣]. وقولوا كما قال نوح: ﴿وَالَا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [هود: ٤٧]. وقولوا كما قال موسى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي﴾. وقولوا كما قال ذو النون: ﴿سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧].

اعترافُ المذنبِ بذنبه مع الندمِ عليه توبةٌ مقبولةٌ.

قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَأَخْرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَأَخْرَسَيْنَا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة: ١٠٢].

وقال النبي ﷺ: «إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا اعْتَرَفَ بِذَنْبِهِ ثُمَّ تَابَ، تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ»^(١).

وفي دعاءِ الاستفتاحِ الذي كان النبي ﷺ يَسْتَفْتِحُ بِهِ: «اللَّهُمَّ! أَنْتَ رَبِّي، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، ظَلَمْتُ نَفْسِي وَاعْتَرَفْتُ

(١) أخرجه البخاري (٤٧٥٠)، ومسلم (٢٧٧٠).



بذنبِي فَاغْفِرْ لِي، إِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ» (١).

وفي الدعاء الذي عَلَّمَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلصَّديقِ أَنْ يَقُولَهُ فِي صَلَاتِهِ: «اللَّهُمَّ! إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا، وَلَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، فَاغْفِرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ وَارْحَمْنِي، إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ» (٢).

وفي حديثِ شَدَادِ بْنِ أَوْسٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «سَيِّدُ الْاسْتِغْفَارِ أَنْ يَقُولَ الْعَبْدُ: اللَّهُمَّ! أَنْتَ رَبِّي، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، خَلَقْتَنِي، وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبوءُ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ وَأَبوءُ بِذَنْبِي، فَاغْفِرْ لِي، إِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ» (٣).

الاعترافُ يَمْحُو الْاِقْتِرَافَ، كَمَا قِيلَ:

وَإِنَّ اعْتِرَافَ الْمَرْءِ يَمْحُو اقْتِرَافَهُ كَمَا أَنَّ انْكَارَ الذُّنُوبِ ذُنُوبٌ

(١) أخرجه مسلم (٧٧١).

(٢) أخرجه البخاري (٨٣٤)، ومسلم (٢٧٠٥).

(٣) أخرجه البخاري (٦٣٠٦).



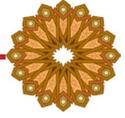
لَمَّا أَهْبَطَ آدَمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنَ الْجَنَّةِ بَكَى ثَلَاثَ مِئَةِ عَامٍ،
وَحُقَّ لَهُ ذَلِكَ، كَانَ فِي دَارٍ لَا يَجُوعُ فِيهَا وَلَا يَعْرَى وَلَا يَظْمَأُ
فِيهَا وَلَا يَضْحَى، فَلَمَّا نَزَلَ إِلَى الْأَرْضِ، أَصَابَهُ ذَلِكَ كُلُّهُ،
فَكَانَ إِذَا رَأَى جَبْرِيْلَ يَتَذَكَّرُ بِرُؤْيَيْهِ تِلْكَ الْمَعَاهِدَ، فَيَشْتَدُّ
بِكَاءُهُ حَتَّى يَبْكِي جَبْرِيْلُ لِبِكَائِهِ وَيَقُولُ لَهُ: مَا هَذَا الْبِكَاءُ يَا
آدَمُ؟ فَيَقُولُ: وَكَيْفَ لَا أَبْكِي وَقَدْ أُخْرِجْتُ مِنْ دَارِ النِّعْمَةِ
إِلَى دَارِ الْبُؤْسِ؟

فَحَيَّ عَلَى جَنَاتٍ عَدْنٍ فَإِنَّهَا مَنَازِلُكَ الْأُولَى وَفِيهَا الْمُخَيَّمُ
وَلَكِنَّا سَبِيَّ الْعَدُوِّ فَهَلْ تُرَى نَعُودُ إِلَى أَوْطَانِنَا وَنُسَلِّمُ^(١)

احذروا هذا العدو الذي أخرج أباكم من الجنة، فإنه
ساع في منعكم من العود إليها بكل سبيل، والعداوة بينكم
وبينه قديمة، فإنه ما أخرج من الجنة وطرد عن الخدمة

(١) هذان البيتان جزء من قصيدة مشهورة للإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ، وأولها:

إذا طلعت شمس النهار فإنها علامة تسليمي عليكم فسلموا
والإمام ابن القيم هو أحد شيوخ المؤلف الإمام ابن رجب رَحِمَهُمَا اللهُ.



إِلَّا بِسَبَبِ تَكْبُرِهِ عَلَى أَبِيكُمْ وَامْتِنَاعِهِ مِنَ السُّجُودِ لَهُ لَمَّا أُمِرَ بِهِ. وَقَدْ أَبْلَسَ مِنَ الرَّحْمَةِ وَأَيْسَ مِنَ الْعُودِ إِلَى الْجَنَّةِ وَتَحَقَّقَ خُلُودُهُ فِي النَّارِ، فَهُوَ يَجْتَهِدُ عَلَى أَنْ يُخَلَّدَ مَعَهُ فِي النَّارِ بَنِي آدَمَ، بِتَحْسِينِ الشَّرِّكَ، فَإِنْ عَجَزَ، قَنَعَ بِمَا دُونَهُ مِنَ الْفُسُوقِ وَالْعَصِيَانِ. وَقَدْ حَذَّرَكُمْ مَوْلَاكُمْ مِنْهُ، وَقَدْ أَعَذَرَ مَنْ أُنذَرَ، فَخُذُوا حَذْرَكُمْ، ﴿يَبْنَىءُ آدَمَ لَا يَفْنِنَنَّكُمْ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ آبَايَكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ﴾ [الأعراف: ٢٧].

الْعَجَبُ مِمَّنْ عَرَفَ رَبَّهُ ثُمَّ عَصَاهُ، وَعَرَفَ الشَّيْطَانَ ثُمَّ أَطَاعَهُ! ﴿أَفَتَخَذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ يُبْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾ [الكهف: ٥٠].

المؤمنون في دار الدنيا في سفر جهاد، يُجاهدون فيه النفوس والهوى، فإذا انقضى سفر الجهاد، عادوا إلى وطنهم الأول الذي كانوا فيه في صلب أبيهم. وَصَلَتْ إِلَيْكُمْ مَعَشَرَ الْأُمَّةِ رِسَالَةٌ مِنْ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ مَعَ نَبِيِّكُمْ مُحَمَّدٍ صَلَّى



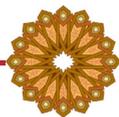
اللَّهُ عَلَيْهِمَا وَسَلَّمَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «رَأَيْتُ لَيْلَةَ أُسْرِي بِي إِبرَاهِيمَ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ! أَقْرَى أُمَّتِكَ مِنِّي السَّلَامَ، وَأَخْبِرُهُمْ أَنَّ الْجَنَّةَ عَذْبَةُ الْمَاءِ طَيِّبَةُ التُّرْبَةِ، وَأَنَّهَا قِيَعَانٌ، وَأَنَّ غِرَاسَهَا: سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ» (١).

وَخَرَجَ النَّسَائِيُّ وَالتِّرْمِذِيُّ: عَنْ جَابِرٍ: عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ وَبِحَمْدِهِ، غُرِسَتْ لَهُ نَخْلَةٌ فِي الْجَنَّةِ» (٢).

أَرْضُ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ قِيَعَانٌ، وَالْأَعْمَالُ الصَّالِحَةُ لَهَا عَمْرَانٌ، بِهَا تُبْنَى الْقُصُورُ وَتُغْرَسُ أَرْضُ الْجَنَانِ، فَإِذَا تَكَامَلَ الْغِرَاسُ وَالْبُنْيَانُ، انْتَقَلَ إِلَيْهِ السُّكَّانُ.

(١) أخرجه الترمذي (٣٤٦٢)، وقال: هذا حديث حسن غريب. وحسنه النووي والألباني.

(٢) أخرجه الترمذي (٣٤٦٥)، والنسائي في الكبرى (١٠٦٦٣)، والحاكم (١/٦٨٠)، وقال: صحيح على شرط مسلم، وصححه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة.



قُلُوبُ الْعَارِفِينَ تَسْتَشِيقُ أحيانًا نَسِيمَ الْجَنَّةِ.

قال أنس بن النضر يوم أُحُدٍ: واهّا لريح الجنة، والله، إني لأجد ريح الجنة من قبل أُحُدٍ، ثم تقدّم فقاتل حتى قُتِلَ.

كَمْ لِلَّهِ مِنْ لَظْفٍ وَحِكْمَةٍ فِي إِهْبَاطِ آدَمَ إِلَى الْأَرْضِ، لَوْلَا نَزُولُهُ، لَمَا ظَهَرَ جِهَادُ الْمُجَاهِدِينَ وَاجْتِهَادُ الْمُجْتَهِدِينَ، وَلَا صَعِدَتْ زَفَرَاتُ أَنْفَاسِ التَّائِبِينَ، وَلَا نَزَلَتْ قَطْرَاتُ دُمُوعِ الْمَذْنِبِينَ.

